ديزيره سقال

أصداء وألوان

٢٠١٧

ديزيره سقال

أصداء وألوان

٢٠١٧

القصيدة ١

(إلى ديزيره سقال)

...ثمّ يَبدأُ الصَّمْتُ بالتّداعي،
وَيبدَأُ الشّكلُ بالتداعي،
وَيَبدأُ التّداعي...

غيرَ أنّ هذا الهواءَ الإهليليجيّ يحاصرُ العصرَ، ينثقبُ البرْدُ، ينطرحُ البحرُ على الشَرَمِ، يبدأُ الحصارُ/ هَلْ

يمسحُ
الماءُ
لونَ
ٱلماءِ؟

هكذا تبدأُ القصيدةُ، وبعضُ البُثورُ تخرجُ من دمِ العصرِ، بعضُ الأسمالِ من عينيهِ؛ بَيدَ أنّكَ تَسألُ عن

حدودِ الرَّجْعِ، تسألُ عن بعضِ الأليافِ، تسألُ/
وَجهكَ ظامئٌ/ هلْ يصيرُ البَرْدُ ترْجمانَ اللونِ؟

لِهَيْأَتكَ شَكلٌ يمسخُ الشكلَ،
للشمسِ عطشٌ.
من أينَ تبدأُ عندما يصيرُ الشرقُ ممحاةً؟
وجهُكَ ظامئٌ/ هلْ يصيرُ البردُ ترْجمانَ اللونِ؟

بردُ التاجِ
يلبسُ الوقيعةَ العمياء.

الأرضُ مِنخَلٌ
والشمسُ قرصٌ منَ الرّصاصِ –

هلْ يبدأُ آدمُ؟

القصيدةُ تكتبُ نفسَها – تسألُ عنِ الغَرقِ بينَ الماءِ ومجرى الماءِ، تَمورُ في النورِ الإهليليجيّ، يحاصرُها العدمُ – هل تدخلُ الأرضُ في جِلْدِ الضَّبِّ؟

تتنفّسُ في الحدِّ الملاصِقِ للعدمِ، في صدَفَةِ الانتظارِ. تلتقطُكَ الجوامحُ. يبدأُ بكَ تَصَدُّعُ الشيءِ. ينتهي بكَ الشَرمُ؛ بَيْدَ أنّكَ لا تسكنُ في الانفصالِ.

وجهُكَ بقيّة تحترق،

انحدارٌ صوبَ اللهِ!

ينشطرُ في جِلْدِكَ اللونُ. قبلَ الميلادِ بِبَعْضِ رمادٍ تمرُّ زواياكَ المنحنيةُ. تخرجُ من الصّدى رَطِبًا، مُمَدَّدًا كالقِثّاءِ. يَصِلُ إليكَ الصّدى. يلتهمكَ. تَتَكَوْكَب. تَتَقَلْسَى. تُعود.

تدخلُ

شيئًا

فشيئًا

حيثُ

ينشطرُ

في جِلْدِكَ اللون...

قَلعةٌ منَ الرّكامِ –

تتحَلّقُ حولكَ الوجوهُ في آخرِ الشّفيرِ الّذي يرضعُ الأشكالَ المتدافِعةَ. يسّاقطُ فيكَ كَرَزٌ وَخَوْخٌ وبعضُ حلمٍ... تَتَكَوكَبُ المدينةُ. تبدأُ الأشكالُ:

١ – **جليل حيدر** يكشطُ الضوءَ عن نعلَيْه.

٢ – **رامز عَوَض** يُجَنُّ في خرائطِ الانتحارِ.

٣ – **يولا فَرّان** تحملُ حرارةَ الظِّلِّ في أبجديّةِ الدخولِ الجديدِ.

٤ – **جيلبير زَبّال** يبدأُ أُقنومَ المحالِ رابِضًا بلَوحَي موسى .

غَيرَ أنّكَ تتخطّى الأشكالَ مُنحدرًا في هبوطٍ مُضيءٍ، يا الضاربَ في جذورِ الليلِ، حيثُ لا لوحَ إلاّ مَقرونٌ برعشةِ الهوّةِ.

قلعةٌ منَ الرّخامِ –
تسألُ عن الفرقِ بينَ الماءِ ومجرى الماءِ.

تخرجُ لحظةً من القصيدةِ وهيَ تكتبُ نفسَها، وتدخلُ بحّةً غريبةً. لكنّكَ فيما تبحثُ عن صوتٍ تتعثّرُ بالأسمالِ. ترى غيومًا في ضبابِ الأقداحِ. ترى في الخوفِ ضبابًا لرمالٍ تتسرّبُ – هل توقّفَ الزحفُ؟

تبقى لحظةً بينَ الحرفِ والحرفِ.
تبقى لحظةُ متأمّلًا بعضَ الكوى.
تبقى لحظةً...
تراقبُ الظلَّ يطغى على غيابِ الشّمسِ –

ألشّمسُ قرصٌ منَ الرصاصِ
والقبيلةُ قبلةٌ دمويّةٌ.

برجٌ من الإعصارِ –
يعاودُكَ الإعصارُ. ترى قبّةً نحاسيّةً. ترى بكفيّا قبّةً نحاسيّةً فوقَها عشبٌ باهِتٌ. يدخلُ لونُها المرآةَ. يخرجُ...
تموتُ معًا وتولَدُ معًا.
غيرَ أنّكَ
تبقى في مدارِ القبلةِ الدمويّةِ.

كنتَ تسمعُ نِداءً (عاشقٌ أو معشوقٌ؟) لكنّكَ لا ترى. حولَكَ تُراثٌ جائعٌ ينهضُ.

تتخثّرُ الوجوهُ. تعاودُكَ الأشكالُ:

١ – **ماري غ**... تسيرُ على حافّةِ العمرِ اليابسِ (هل تموتُ؟)

٢ – **جوزف سقّال** عصفورٌ يزهو في ضبابِ الوطنِ.

٣ – **الياس لحّود** "مشاهدُ" مُتكسّرةٌ وجنوبٌ يبكي.

٤ – **ديزيره سقّال** بريقٌ يتخبّطُ بينَ الدمعةِ والدمعةِ.

٥ – **ليلى** جوقةٌ ملائكيّةٌ تترنّمُ.

٦ – **رولان سقّال** وجهٌ ضيّعَ الفردوسَ وانْهارَ في فراغٍ حالمٍ.

يُعاودكَ النداءُ لكنّكَ لا ترى. يعلو زئبقُ الغطاءِ. تنتهبُكَ "الحربُ". تطفرُ بيروتُ من هاويةِ الدموعِ.

أرى عينيكَ شاشاتٍ منَ البريقِ.
أرى فضاءَ وجهِكَ سديمًا.
تفتحُ جناحَيكَ وتهجمُ...

ألمهرّجُ يَبْقُرُ الرؤيا .
تتساءَلُ:

هلْ
يمسحُ
الماءُ
لونَ
ٱلماءِ؟

تتكسّرُ. تَتَكَوكَبُ. تعودُ.
غيرَ أنّكَ تخرجُ منَ الأمرِ الواحدِ.
تولدُ معًا وتموتُ معًا.

تموتُ معًا وتولدُ معًا.

وحولَكَ كابوسٌ منَ الجِياعِ.

هَكذا تكتبُ القصيدةُ نفسَها.

هكذا تصبحُ العاشقَ والمعشوقَ.

وفي خِضَمِّ البَهجَةِ، حينَ يتلاشى اللسانُ في فراديسِ الكلامِ، تنتظرُ. يتغلّبُ عليكَ التَوحيدُ.

وتبقى حولكَ الأرضُ

ماءً

ومجرى ماءٍ.

وتبقى حولكَ الأرضُ

رعدًا يمتصُّ الندى وينثُرُ الرحيقَ...

(النهار : ١٣ - ٩ - ١٩٨١)

القصيدة ٢

(إلى ديزيره سقال)

- ١ -

يخرجُ من ذاتِهِ لِيَراها.
يتنقّلُ، بِلا جسدٍ، بينَ الأشياءِ/
يتّحِدُ بها/ يلبَسُها/
يَذوقُ لونَها ويسمعُ ضجيجَ صمتِها
وصمتَ حركتِها/
وفي كلِّ شيءٍ
يتركُ ذاتَه ويرحلُ.

لكنّهُ،

بينَ الفَيْنَةِ والفَيْنَةِ،
يطيرُ فوقَ ذاتِهِ
ليُشرِقَ عليها كإلهٍ.

وعندَما يسترجعُ نفسَه
ويعودُ إليهِ
تضيقُ الرؤيا شيئًا فشيئًا
ويتّسعُ هو.

- ٢ -

يسكنُ في شوارعِ الجسدِ وتارةً في سماءِ الروحِ؛
ولكنّه بينهما مشدودٌ كالخيطِ،
واسعٌ كالعبارةِ.

يَتحرّكُ بحذَرٍ كمَنْ يمشي واثقًا على حدِّ السيفِ، أَوْ كَمِثْلِ بهلوانٍ يقفزُ على حَبْلٍ ولا يخافُ/ يحتوي كلَّ شيءٍ تحتَ جِلْدِهِ: الشوارعَ، السياراتِ، الأرضَ، السماءَ، الشجرَ، الحبَّ، والبكاءَ/ يحتوي كلَّ شيءٍ ولا يَنِي يطلبُ أكثرَ، بإلحاحٍ يطلبُ أكثرَ/

يَستبدُّ به الطمعُ:

طمعٌ كالحبِّ العارمِ،

طمعٌ كالوجْدِ،

طمعٌ كالمجامعةِ الرقيقةِ،

طمعٌ كالقبلةِ الأولى،

طمعٌ كالنارِ كاللهيبِ،

طمعٌ كاللسعةِ تُخرجُ منَ الفردوسِ،

طمعٌ كفضولِ الاكتشافِ/

يستبدُّ بهِ الكشْفُ/

يرى ويسمعُ ويقولُ

وهو أشدُّ ارتعاشًا من ورقِ الخريفِ:

راءٍ كالذائبِ في عينِ الـ"هوَ".

سامعٌ كأذُنِ السماءِ ترقبُ الأرضَ،

قائلٌ كنطقِ الكلمةِ الأولى:

"كنْ – كوني"/

كانَ الكلامُ سِرَّه الأكبرَ

– والكلامُ جبَلُهُ الذي يحدّثُ فيه اللهَ،

يشاركُهُ خلقَهُ –

مِنْ غَيْرِ حِجابٍ:

يورقُ فيهِ اللهُ/ يتّحدُ بهِ/ يتَساويان/ يتكسّران/ يتشظّيان/ ويبقيان واحِدَينِ متميّزَين:

أحدُهما في الأرضِ

والآخرُ في السماءِ/

يرى ويسمعُ ويقولُ...

ومعَ ذلكَ

لا صوتَ لهُ ولا لونَ
لا أذنَ ولا عَيْنَ –
ينحلُّ في ذاتِهِ بَصيرةً، روحًا، ولا شكلَ،
لا شيءَ سواه/
لا شيءَ في الأرضِ في السماءِ في الجهاتِ في الذاتِ في الآخرِ في الداخلِ والخارجِ... سواه/
كلُّ شيءٍ هوَ
كلُّ وقتٍ وكلُّ مكانٍ.
صَلْبٌ، ولكنّهُ بِلُيونةِ الماءِ.
مُتماسِكٌ، ويَسيلُ كالزّئبقِ.
ضاجٌّ، ولا حِسَّ فيه كالصمتِ.
لا شيءَ سِواه:
كلُّ ما فيه ليسَ له،
وكلُّ ما لَهُ غائبٌ عنهُ،
ولكنّه يملكُ كلَّ شيءٍ.

- ٣ -

"- القصيدةُ تتحرّكُ بي/ تُحَرّكني.

أيكونُ وجهي أشدَّ بَوحًا من المدادِ الّذي يسيلُ؟"

القصيدةُ تتحرّكُ –

ينزلُ إلى سراديبِها.

يطيرُ في سَمائها/ يتجمّعُ – يتشظّى/

يتكاثرُ في كلِّ زواياها:

أحصنةٌ تخرجُ من الغبارِ – تذوبُ فيهِ/ مدائنُ تتشكّلُ من ضبابٍ – تذوبُ فيهِ/ "صحراءُ" تمتدُّ منَ الرملِ على الوطنِ – تذوبُ فيهِ/ وجهُ عاشقةٍ يؤوبُ إلى معشوقِهِ – يذوبُ فيهِ/ صهيلُ فَجْرٍ يخرجُ على الظلامِ – يذوبُ فيهِ/

يتكاثرُ في زوايا القصيدةِ:

١ – **أدونيس**: مُرَكَّبٌ مُشِعٌّ يخترقُ ضلوعَه ويفتحُها على الأبجديّةِ.

٢ – **خليل حاوي**: رصاصةٌ تئزُّ يستلهمُ من ضجَّتِها رؤيا جديدةً.

٣ – **محمود درويش**: نضالُ الفجرِ معَ ليلٍ بطولِ العالمِ.

٤ – **إيف بونفوا**: قراءةٌ لرؤيا وَثَنيّةٍ مِنْ أُفقٍ آخرَ.

٥ – **ميشال ديغي**: خروجٌ بُنْيَويٌّ إلى حقولِ الشِّعْرِ.

يتكاثرُ في زوايا القصيدةِ:

الوطنُ يهجسُ بهِ،
يسافرُ معهُ إلى حنينِ الجديدِ،
إلى فضاءٍ رائعٍ مليءٍ بالغضبِ.

"– القصيدةُ تتحرّكُ بي/ تُحَرِّكُني.
أيكونُ وجهي شكلًا للماءِ وهوَ يغسلُ الأرضَ؟"

بينَ الحرفِ والحرفِ/ بينَ الكلامِ والكلامِ
هواجسُ مُتَقَطّعةٌ كلَهاثِ العاشقين
كلذّةِ النشوةِ التي تكتشفُ الآخرَ –
لهاثٌ... لهاثٌ...
لهاثٌ صاعدٌ مِنْ ألَقِ التكوينِ – هابطٌ في أَلَقِ التكوينِ،

لهاثٌ سائلٌ كالدمعةِ بينَ المفترَقِ والمفترَقِ، بينَ الدهشةِ والدهشةِ، بينَ الشَّهْقَةِ والشَّهْقَةِ،

لهاثٌ ذائبٌ في المدادِ الزئبقيِّ الّذي يكتبُ العالَمَ،

لهاثٌ خارجٌ من السِّرِّ، عائدٌ إلى السِّرِّ،

لهاثٌ هادِرٌ في الصمتِ – صامتٌ في الهديرِ،

لهاثٌ منكفِئٌ إلى الذاتِ – ممتدٌّ من الذاتِ إلى العالِمِ،

لهاثٌ مُنهَلٌّ في عرَقِ التعبِ، في تعبِ الرِّضى عن الكتابةِ،

لهاثٌ... لهاثٌ/

" – أيكونُ وجهي شكلًا للماء وهو يغسلُ الأرضَ؟"

– ٤ –

القصيدةُ تتحرّكُ/ تصنعُ نفسَها:

١ – **رامز عوض**: دهشةُ الضحكِ في تحدّي العالم المحبِط.

٢ – **روبير البيطار**: تواترٌ شعريٌّ بينَ الاكتشافِ والبَوْحِ.

٣ – **يولا فرّان**: حقلٌ من الضوء يطيرُ بعيني القصيدةِ.

٤ – **جمعية "تجاوز"**: أملٌ بالخروجِ إلى إشراقةِ الرؤيا.

كلُّ شيءٍ يتجمّعُ فيهِ
ولكنَّهُ يُبَدِّدُهُ ويتحرّكُ في كلِّ اتّجاهٍ.
الوطنُ سيفٌ يرحلُ في الجرحِ،
الوطنُ صدًى لهُ – أفقٌ من عصَبِهِ ومسمامِّهِ وجِلْدِهِ/

مِدادٌ يكتبُ –

يتكسّرُ في الحروفِ يتشظّى يعودُ

ويلتئم...

مِدادٌ ويكتُبُ:

– الأرضُ امتدادٌ لهُ: جسدٌ وروحٌ.

– السماءُ مدًى لحركتِهِ.

– وحَدُّهُ اللانهايةُ.

– ٥ –

في الأنينِ الذي يَسْتديرُ كحبّةِ قمحٍ،

كوهْجٍ يلفُّ المدى والمتاهْ

يُفَتَّحُ وجهُكَ كي يتحرَّكَ في الحِبْرِ

أوْ

يكتبَ المستحيلَ الّذي عجَنَتْهُ يداكَ

وكوّنْتَ منهُ الجباهْ/
أيّها المتوحِّدُ في الحبرِ والحرفِ
عَبْرَ الرؤى والغيوبِ القَصِيَّهْ
وجهُكَ الآنَ محبرةٌ للزمانِ
وآهاتُكَ الأبجديَّهْ.

(١٦/ ٨/ ٢٠٠٥)

(**استدراك**: القصيدة مهداة أيضًا إلى:

- رامز عوض،
- منذر عامر،
- والآخرين...)

صديق

(إلى رامز عوض)

- ١ -

يخرجُ
من أُفُقِ الغرابةِ.
بَيْنَهُ وبينَ العالمِ هُوّةٌ، صَحراءُ، فَضاءٌ واسعٌ، كونٌ/ ومَعَ ذلكَ
يَراهُ وَيقبضُ عليهِ.

يخرجُ
مِن فضاءٍ غريبٍ كالأَلَقِ/
ينكسرُ في المدادِ،

يُناوِرُ،
يستيقظُ مُرْهَقًا على ليلِ الأشياءِ؛
يكتبُها توهُّجًا،
شَظايا،
وأضغاثَ أحلامٍ.

لكنّهُ،
بينَ البُرْهَةِ والبُرْهَةِ،
ينظرُ حولَه
ولا يقرأُ إلا الغيابَ.

أيكفي هذا الضجيجُ العميقُ لِتَغْييرِ وَجْهِهِ؟
أَيَكفي هَمْسُ الرفضِ ليصيرَ الفضاءُ حِبْرًا للكتابةِ

والحلمُ أبجديّةً؟
أَيَكْفي هذا الضَّحِكُ الهاربُ مِنْ بينَ السُّطورِ
وهذا الحزْنُ المنْكَسرُ في الجرحِ،
الراحِلُ على سفُنِ الإحباطِ،
ليبدَأَ العالمُ معَه رحلةً إلى المدهشِ
أوْ
لِيخرجَ العالمُ من قِشرتِهِ
وَيستحِمَّ في ذاتِ الوَرَقِ؟
أَتَكفي هذه الكوابيسُ الراحلةُ
في أسَنِ الوطنِ المصدَّعِ
تَحُثُّ القلَمَ على الإبحارِ في مَوْجِ الوَرَقِ
حَيْثُ يجدُ هُوَ أفُقَهُ
وينسلخُ عَنْ ذاتِهِ
لِيَسْكنَ ذاتًا أُخْرى
مِنْ ضَبابٍ؟

أَيُّها النّازلُ مِنْ أُفُقِ الغَرابةِ المضيئةِ،
ٱلصاعِدُ إلى ضَعضَعَةِ الجحيمِ،
أَيُّها المنعزِلُ في حدودِ الحلمِ،
ٱلمسكونُ بالدهشةِ،
ٱلخارجُ من التراكُمِ إلى إشعاعِ الفَرادَة،
أَيُّها النازلُ مِنْ جحيمِ اللهِ
إلى سُكونِكَ،
تَألَّقْ في ثُرَيّاتِ الوَحْيِ الضائعِ،
وخُطَّ للعالمِ إطارًا ذهبيًّا
لِرِوايتِكَ الماسِيَّةِ الّتي لم تُكتَبْ.

- ٢ -

بينَ المدى الصارخِ والذاتِ المضطربةِ حَتّى الانْفجارِ،
بينَ العقيدةِ المكتنِزَة والفكرِ الفارغِ إلاّ مِنْ ذاتِهِ،

بينَ العقلِ الَّذي يَبْني والرَّفضِ الذي يُخَرِّبُ
يَتَمدّدُ وجهُكَ
واسعًا كالصحراءِ،
ضَيِّقًا كَخرْمِ الإبرةِ.
كُنْتَ تلتمُّ خارجَ الدّنيا،
تَحشدُ ذاتَكَ كَحقلٍ مِنَ السَّرْوِ
أَوْ
كَحزْمةٍ مِنْ سنابِلِ القمْحِ
وَتهاجمُ الواقعَ/
كانَ بَيْنَكَ وبينَ انحناءاتِ الضَّوْءِ
كُلُّ هذا الأَلَقِ
وكُلُّ كُلُّ هذا البريقِ.

إذنْ

لماذا، أَيُّها المرتمي بأحضانِ الغرابةِ،
أَيُها المستقِرُّ في عينِ الدّهشةِ،
لماذا
تخلعُ جَسدَكَ
وتُحاذي بخطْوِكَ الهواءَ
حينَ يجفُّ العالمُ كالحَطَبِ،
حينَ ينبسطُ الكلامُ كَلِسانِ الصَّحْراءِ،
حينَ يَتَخثَّرُ الحِبْرُ عَبْرَ ضِفافِ القَريحةِ،
وَتَغيبُ...؟

لماذا
تُصَدِّعُ الهواءَ في مُرورِكَ العارِمِ
وتَنبسطُ كالرايةِ في إشراقةِ الحلمِ،
تفتحُ نفسَكَ على تألُّقِ المجهولِ

وتغيبُ...؟

لماذا
أَيُها الهاربُ من ذاتِكَ،
ٱلمشتاقُ إلى ذاتِكَ،
لماذا
تَحُسُّنا بحنينكَ الثّاقبِ،
تُطْلِقُنا كالألعابِ الناريّةِ
في سماءِ أقاصيصِكَ المنخَطِفَةِ
وتغيبُ...؟

- ٣ -

وجهُكَ تألُّقُ السرابِ

في صحراءِ الارتواءِ القاحِلِ.

وجهُكَ الجرحُ الممتدُّ
في جحيمِ قلوبِنا.

وجهُكَ الأنينُ الذاهِلُ
في جسدِ الواقعِ الثقيلِ.

وجهُكَ الطَّعْنةُ
على شفيرِ الجراحِ الأخيرةِ.

(أينَ وجهُكَ؟)

كنتَ تَصْطَبِغُ بالحلمِ،

تَتَوتّرُ عَبْرَ سديمِ تَوْقِكَ الطافِرِ،

ويبدأُ العالمُ:

- **تروتسكي**: تألُّقُ الفكرِ عَبْرَ أَرْضٍ مِنْ فَراغٍ.

- **هاني الراهب**: مِدادٌ أسودُ وروايةٌ لم تُنجَزْ.

- **نجوى يمّين**: طعنةٌ رائعةٌ وموسيقى مِنْ أَثيرٍ غامضٍ.

- **رامز عوض**: تَشَتُّتٌ بينَ فكرٍ يَتلاشى وإبداعٍ مِنَ الذاتِ يَتَخطّى.

كلُّ ما حولَكَ يميعُ/ ينجذرُ في مِدادِكَ.

تُخرجُه من عَصَبِكَ،

مِنْ عَينيكَ الرُّؤْيَوِيَّتينِ.

تَتألّقُ فيهِ — يتألَّقُ بِكَ

ثمَّ
يتلاشى عَبْرَ الضِّحكةِ الكبيرةِ.

أينَ وجهُكَ؟
أيُّها الذاهلُ حتّى الغيابِ،
أيُّها الخارجُ مِنْ مَدى الحبرِ ورائحةِ الوَرَقِ،
أَيْنَ وَجْهُكَ؟

- ٤ -

لا شيءَ سِواكَ
في هذا المدى المضَعَضَعِ حتّى الأُفولِ،
في هذا الأُفقِ الصَّحراءِ يخرجُ مِنْ أَعيُنِنا.

لا شيءَ سِواكَ
في هذا التألُّقِ المؤْلِمِ
والعالِمِ المنْسابِ مِنْ بينِ أَصابعِنا كَالرَّمْلِ.

لا شيءَ سِواكَ
في هذا الواقعِ المشَظّى
تحتَ مَسامِّ الحلمِ.

لا شيءَ سِواكَ
في جَسَدِ الكِتابَةِ القاحِلِ
وَفِكْرٍ يَسْقُطُ تحتَ أَرْجُلِ الحَقيقةِ.

ولكنْ
حينَ تَنْكسرُ الدَّهشةُ الجامِحَةُ
تأوي أَنتَ إلى ذاتِكَ المنفتِحةِ
وَتَغْزلُ الحُلمَ الطويلَ...

(١٧ – ١٨/ ٨/ ٢٠٠٥)

مرآة لجليل حيدر

عِنْدَما تَسْتكينُ إلى الذّاتِ
لَوْنًا لمرآةِ جوعٍ
وَتَرْقُصُ حَوْلَ حُطامِ الزّوايا
تُعايِنُ أَرْضًا مِنَ الإِمْتِدادِ
وَتَتْرُكُ جوعَكَ شَهْوَةَ خَسْفٍ
تُرَجِّعُ بينَ المرايا...

الغائب
(أو قصيدة نورمان دياب)

تَغيبُ...
وَتَترُكُ في القَلْبِ بَسمَتَكَ الوارِفَهْ...
تغيبُ...
كأنَّ الغيابَ رحيلٌ...
وجرحٌ عميقٌ بخاصِرةِ العاصِفَهْ...
تغيبُ...
وتترُكُ فينا
هدوءًا عميقًا
وأَحلامَ كونٍ جديدْ...
وأَنتَ الذي قلْتَ:
"أترُكُ هذا الإلَهَ لكُمْ

فاترُكوني لِحالي..."
تلَحَّفْتَ قلبَ الإلهِ، صديقي،
وعانقْتَهُ اليومَ هذا العِناقَ الشديدْ...

***

تَغيبُ...
وَأنتَ حُضورٌ سَحيقٌ بقلبِ الجميعِ،
ووجهُكَ قَوْسُ قُزَحْ...
فكيفَ، إذا لم تكنْ حاضِرًا،
يَنسُلُ الحاضرُ المستحيلُ
حدودَ الفرَحْ؟
وكيفَ يُواريكَ عنّا ظَلامٌ
وَقلبُكَ أنتَ ضِياءٌ... ضياءْ...
وأحلامُكَ الواسِعاتُ تُصَيِّرُ هذا المدى
ضَيِّقًا... ضَيِّقًا...

وتُجدِّدُ رَسْمَ تُخومِ الفضاءْ...
ويَنكسِرُ القَدَرُ المتهَدِّلُ بيني وبينَكَ...
يَعوي الزمانُ صغيرًا... صغيرًا...
لأنَّ القَضاءَ تكَسَّرَ فِيَّ وفيكَ –
فبِئسَ القَضاءْ!
تخَطّيتَهُ ساخرًا، يا صديقي،
وحَمَّلْتَ بَسْمَةَ ثَغْرِكَ رفْضَ الشُموخِ،
وأَعْلَنْتَ صَوْتَكَ لَونَ الصَّفاءْ...
لَئِنْ كُنْتَ غِبْتَ بحقٍّ
فكلُّ القَصائدِ صمتٌ مميتٌ،
وكلُّ الأماني هَباءٌ... هباءْ...
وكيفَ تغيبُ
وأنتَ رسَمْتَ بكلِّ فؤادٍ
بَخورَ الصَّفاءِ
وصِدْقَ النَّقاءِ،

وغَيَّرْتَ فينا حدودَ السماءْ؟

***

تغيبُ...
وَتَتْرُكُ هذا الوجودَ الصَّفيقْ...
وتُعلنُ، في صمتِكَ المطمئنِّ،
عُبورَ الكلامِ، وبدْءَ الطريقْ...
وتزرعُ فينا،
على وجهِكَ المتبسِّمِ،
بذرةَ رفضٍ عميقْ...
تركتَ الصلاةَ
لأنَّ الإلهَ الذي يعبُدونَ
غَدا ثابتًا... كَالجدارْ...
وصارَ تقاليدَ باليةً... واحتضارْ...
ورحتَ تُصَلّي

لربٍّ يجيءُ مِنَ النّارِ،
يسكُنُ في بصَماتِ الحريقْ،
ويَخرجُ منْ زَعْزَعِ الرَّفْضِ،
يُغويهِ تدميرُ هذا المدى
لِيعودَ أصيلاً
وتَسترجعَ الروحُ فيهِ الألَقْ،
تُصلّي لكونٍ سَمَا الصِدْقُ فيهِ
وكسَّرَ حَدَّ القلقْ...
وقالوا: نَسَيتَ الصلاةْ،
وَضَيَّعْتَ إيمانَكَ الثَرَّ بالكُفْرِ،
زَيَّنْت كُفرَكَ بالكلماتْ...!
ولم يعرفوا
أنَّ رفضَكَ صِدْقٌ،
وإيمانَكَ المستحيلَ ضِياءٌ رقيقٌ
يفيضُ على البَسَماتْ...

وأنّكَ كُنْت تصلّي
مَتى زلزلَ الرَّفْضُ هذا الرِّياءْ،
وَأَعلَنْتَ رفضَكَ للكبرياءْ...
وَأَعْلَنْتَ أنَّ المحبةَ فِعلٌ،
وأنَّ الإرادةَ تقهَرُ حَتْمَ القضاءْ...
وكُنْتَ ترى الصِدْقَ في صَمْتِكَ المتجلّي،
وَيفتُنُكَ الرفضُ،
يفتُنُكَ الصِدْقُ
في وجهِ هذا العَماءْ...
وأنتَ بصِدْقِكَ
غَيّرْتَ فينا حُدودَ السماءْ...

***

يقولونَ: غِبْتَ...
وما عادَ قلبُكَ ينبِضُ،

ما عدْتَ تسْمعُ إلا السُّكونْ...
يقولونَ: إنّا سَنشتاقُ صوتَكَ،
نَشتاقُ رفضَكَ،
نَشتاقُ بسمَتَكَ الساخِرَهْ
ووقْعَ خُطاكَ بظلِّ "تَجاوُزَ" مَعْنا،
ولفْظتَكَ الساخِرَهْ...
ولكنْ،
لماذا، إذا اجتمعَ اثنانِ مِنّا،
رأيناكَ ثالثَنا في آمتِدادِ الفُتونْ؟
وإنْ قيلَ شِعرٌ رأيناكَ تَقرأُ،
إنْ حضرَ السامِرونَ رأيناكَ تَحضُرُ،
إنْ نبَضَ القلبُ حُبًّا
رأيناكَ بالحُبِّ تَغسِلُ وجهَ الشُّجونْ؟
فكيفَ تغيبُ
وأنتَ أشدُّ حضورًا مِنَ الحاضرينَ،

ووجهُكَ مُنْحَفِرٌ في القُلوبِ...

جَميعِ القلوبِ...

وكيفَ تغيبُ، صديقي،

وأنتَ حضورُ الأماني الشَّريدَهْ؟

وكيفَ تغيبُ

وقد كنْتَ أنتَ بهاءَ الحضورِ

وأنتَ القصيدَهْ؟

١٠/ ٥/ ٢٠١٤

باب الحلم

(إلى روبير البيطار)

تُغَمِّسُ قلبَكَ بالشِعرِ...
حتّى الضِّياءْ...
وتُبحِرُ في الحُلُمِ المستَحِيلِ
إلى آخِرِ الكَوْنِ،
تَكْسو حُقولَ الحروفِ بِلونِ الصَفاءْ.
يُعَمِّدُكَ الحرْفُ بالضَّوْءِ،
تُشْرِقُ...
ثُمَّ تَذوبُ علَى غَمْغَماتِ القَمَرْ،
وَتَزْرَعُ أَحلامَكَ التائِهاتِ
بأَرْضِ السَفَرْ
لِيُزهِرَ فيها السَّناءْ
وِيغدُوَ قلبُكَ أَنْتَ الثَّمرْ...

***

وتَقطُفُ منْ قلبِكَ الشِّعْرَ،
تَعجُنُهُ بذُهولِكَ،
تَخبُزُهُ بضَميرِكَ،
يَخرجُ منْكَ رَغيفًا
أشَدَّ ٱرتعاشًا منَ الضَّوْءِ
وهْوَ يُلامِسُ قَلْبَ السَّماءْ...
وتَرقُصُ كالطِفلِ
حِينَ يُؤَاتِيكَ وَحْيُ القصيدةِ،
تُنسيكَ هَذا الوجودَ العَماءْ...
ويُشْعِلُكَ الحَرْفُ وَهْجًا
تَبَيَّضَ بالوَحْيِ،
تَحْمِلُكَ الأسْئِلَهْ
إلى طَرَفِ الكوْنِ
خارِجَ هَذي المنى الزائِلَهْ —
تَصيرُ إلهًا يَفيضُ وُجودًا،

ودُنْيا تَشِعُّ وُعودًا،
وبَرْقًا يُكَحِّلُ جَفْنَ الفَضاءْ،
وصَوْتًا يُلَوِّنُ هَمْسَ الإباءْ،
وضِحْكةَ طِفْلٍ
تُخيطُ منَ الجُرْحِ لونَ بَهاءْ...

***

وتَكْبَرُ فيكَ "تَجاوُزُ"،
تَحْضُنُ صَوْتَكَ وَهْوَ يُغَرِّدُ بينَ القَوافي،
ويَحْمِلُكَ الشِّعْرُ خارِجَ هذا الوُجودِ،
وخارجَ هذي المَنافِي...
كذا كانَ في البَدْءِ...
والبَدْءُ ما زالَ يَقْطُرُ شِعرًا،
وما زالَ فيكَ وَفينا
رَحيلًا إلى حُلُمٍ

يتَمَدَّدُ دونَ ضِفافِ...
وما زِلْتَ... ما زِلْتَ في الأحْرُفِ الناعِسَهْ
تُذَوِّبُ ضَوءَ النُجومِ
على ورَقٍ من دَمٍ وعَصَبْ،
وتُغْوي الزمانَ...
فيَفْتَحُ لَحْظاتِهِ التاعِسَهْ
لِيَمْسَحَها بحُبورِ اللَهَبْ...
كَذا كانَ في البَدْءِ...
والبَدْءُ ما زالَ يَقْطُرُ شِعْرًا
ويَغرَقُ عَبْرَ مِدادِكَ
في ملَكوتِ العَجَبْ...

***

غريبٌ على أرْضِنا
ليسَ فيكَ سِواكَ...

وأَنْتَ تُصالِحُ بينَ السماءِ وبينَ الترابْ،
وتُعلِنُ قلبَكَ أُنشودَةً
تَتَواتَرُ بينَ انْفِلاتِ المدى والسَرابْ،
وتُشْرِقُ حينًا إِذا هَبَطَ الليلُ،
تَأْرَقُ حينَ يُلَفُّ بها الوَحْيُ،
تَنْزِلُ بَيْنَ الحروفِ قَصيدَهْ،
وتَهْجرُ هذا الفضاءَ الّذي أَلِفَ الناسَ،
تَهْجُرُ جسْمَكَ وَهْوَ دَمٌ وعِظامٌ
لِتَغْدُوَ أَنْتَ جُسومًا عَديدَهْ
يُرَنِّحُها أَلَقُ الشِعْرِ —
تُقْبلُ... ترقُصُ حينَ تَشاءْ...
وتَهْوى وتَكْرَهُ حينَ تَشاءْ...
وتَخْلُقُ... تَهْدُمُ حينَ تَشاءْ...
وتَنزِلُ في الكَوْنِ رُؤْيا جديدَهْ...
تَحوكُ القَصيدَةُ أَحْرُفَها فيكَ

شيئًا فشيئًا...
لِيَكْتُبَكَ الفَجرُ كلَّ نَهارٍ
فتَنْزِفَ عَيناكَ ضوءًا،
ويَنزِفَ قلبُكَ ضوءًا،
ويرفعَكَ الشِّعرُ نحوَ حُدودِ البَهاءْ...
كَأنَّ مِدادَكَ ليسَ مِدادَكَ،
لَيسَتْ حدودُ السَّماءِ سماءَكَ...
غَيَّرْتَ بالشِّعرِ وجهَ الوُجودِ...
ووجْهَ السَّماءْ!

***

هُنا... لَيْسَ فيكَ سِواكَ...
غريبٌ على أرضِنا
وقَريبٌ منَ القلبِ... حتّى التلاشي،
وفي القلبِ جَمرٌ، وغاباتُ أسئِلةٍ...

وَمُتونٌ تُوَثِّقُ نَبْضاتِهِ... وحواشي...
وفي القلبِ عِطرٌ... وورْدٌ...
وشمسٌ وظِلٌّ...
وكونٌ تَعَمَّرَ مثلَ السَّرابِ يُطِلُّ...
وتَبحَثُ عن أَلَقٍ في الغرابةِ،
تَبحثُ عنْ مستَحيلٍ يَهُلُّ...
تُذَوِّبُهُ في المِدادِ،
وترسمُ منهُ أَساطيرَ
في أحرفِ الضوءِ،
تَغْسِلُهُ برذاذِ القصيدةِ...
حتّى يصيرَ رذاذًا...
تُلوِّنُهُ برنينِ الفَرَحْ،
وتَغرُبُ في الشِعرِ،
تُشْرِقُ...
تُمطِرُ فوقَ الزُروعِ،

ويَنشُرُكَ الشِّعرُ قوسَ قُزَحْ...
وَتَبحَثُ عَنْكَ بِإِشراقةِ الوَحْيِ،
لَكنّما غَيَّبَ الواقعُ المتَهَدِّلُ
قلبَكَ في نَثرِهِ،
واحْتواكَ الضبابُ متى عُدْتَ...
فانْشُرْ خَيالَكَ خَيمةَ شِعْرٍ،
وِسَمِّ الحضورَ القَضِيَّهْ،
وَهُبَّ خَفيفًا، يُها الحالِمُ المطمَئِنُّ،
لتَثْقُبَ واقِعَكَ الصَلْبَ بالكَلِماتِ السَنِيَّهْ
وترحَلَ في الحُلْمِ...
تَبقى القصيدةُ أَعراسَهُ الأَبَديَّهْ...
وتُعْلِنُ:
بالشِّعرِ نَملأُ أَيّامَنا الفارِغاتِ،
وبالشِّعرِ نرسمُ هذا الوُجودَ،
نُؤَبِّدُ لَحْظاتِهِ الزَمنِيَّهْ،

وبالشِّعرِ نُعْلِنُ عنْ قوّةِ الخَلْقِ،
تَغدو دِمانا مِدادًا،
ونَبْضُ الفؤادِ حروفًا،
وأحلامُنا الأبجديَّهْ...

زهر الغائب
(أو: قصيدة جورج خانم)

يقولونَ غِبْتَ
وأَشعَلْتَ لونَ الأسى
في ثيابِ البَقاءْ...
يقولونَ إنَّكَ غادَرْتَ
خَلْفَ حُدودِ الرجاءْ...
وفي مثلِ هَذي الهُنَيهاتِ
تَرْنو إلَيْنا،
وفي لَحَظاتِ الصَّفاءِ
تُشاهِدُ ظِلَّكَ في مُقْلتَينا
وتَرْحَلُ...
في فرَحِ الحُبِّ

حينَ يَعودُ إلينا المساءْ.

***

وكُنتَ، إذا سَافرَتْ في رُؤَاكَ الحُروفُ،
تَرنَّمَ فيها المدَى وانفتَحْ
وسَافَرْتَ في الكَلِمَاتِ
لِتَرْسُمَ فِيكَ المحبّةُ زَهْرَ الفرَحْ
وتُزْهِرَ أَرْضُ الطُفولةِ
في مُهْجَةٍ من سَناءْ،
ويَهْمسَ فيكَ "نِداءُ البَعيدِ"
ليرْشَحَ بالطِيبِ رَجْعُ النداءْ –
فكَيفَ تَغيبُ
وما زِلْتُ أُبصِرُ وجهَكَ
يَزْهو على ظَهْرِ قَوْسِ قُزَحْ؟

***

وحتّى وأنتَ تُطِلُّ مِنَ الفَوْقِ
لا تَسْتَطيعُ فَكاكًا مِنَ الشِّعرِ
أو مِنْ قُيُودِ البَهاءْ،
ولا تَسْتَطيعُ التَوَحُّدَ في بُرْجِكَ المتعالي
لِأَنّكَ فينَا كَثِيرٌ
وأنَّكَ فينا تُغنّي الصَّفَاءْ،
وأنَّ "مَرايا الغُبارِ" بِبَيْروتَ
تَمْسَحُ كُلَّ الجراحِ بزَيْتِ الطَهَارَهْ
وتَرْتَاحُ في لَحْنِكَ المريمِيِّ
جُفونُ العِبارَهْ...
فكيفَ تَغيبُ،
يُهَا الحاضِرُ المسْتقِرُّ بقلبي،
ووجهُكَ فينا نَشيدُ البَقاءْ؟

***

هوَ الوَقْتُ، والوَقْتُ لَيْسَ يُسَمّى...
ولكنّهُ يتسلَّلُ فِينَا كَلِصٍّ غَريبْ
ويَسْرقُنا في سُكوتٍ... بَطيئًا... بَطيئًا...
كأنَّ أصابعَهُ الماهِراتِ نَسيمُ عَليلٌ
تُخَلِّفُ بَعدَ الرحيلِ
فراغًا عَجيبْ.
ونحنُ لُصُوصُ الحياةِ
نُحَاولُ أنْ نَسْرُقَ العُمُرَ المسْتَحيلا
ونُمسِكَ بالواقعِ العَبَثِيِّ
خَيالًا هَزِيلا
ولكنَّهُ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ أصَابعِنا
كدُخَانٍ يَغِيبْ...

***

فَكَيْفَ، إذًا، كُنْتَ في العُمْرِ

هذا البَقَاءَ الأَصِيلا؟
نَذُوبُ وتَبْقَى...
ونَنْحَتُ في الحُزْنِ آهاتِنَا
حينَ تَفْرَحُ أنتَ
وتَفْتَحُ فينا الحُبُورَ طويلًا... طويلا...
وتَرْسمُ بالشِّعرِ كونًا خُلودًا
يُزَغردُ فَوْقَ حُدُودِ السَّمَاءْ
ويَقْتَنِصُ الأَلَقَ المتفتِّحَ
عَبْرَ ضَميرِ البَهَاءْ
ونَنْسَى...
لِتَذْكُرَ أنَّكَ بالشِعْرِ
أَرَّخْتَ فينا حُضورًا
وغيَّرْتَ هذا الوُجودَ الذَّلِيلا...

***

يقولونَ غِبْتَ...
وأَشْعَلتَ لونَ الأَسَى
في ثِيابِ البقاءْ...
ولكِنَّ وَجْهَكَ في كلِّ زاويةٍ
يقرأُ الشِّعْرَ،
وَجْهَكَ في كُلِّ عَيْنٍ
يُوَشِّحُ تَرْتِيلةً في صَفاءْ،
وفي صَوْتِ أولادِكَ الناظِرينَ إِلَيْكا،
وفي وَجْهِ إِخْوَتِكَ القَلِقينَ علَيكَا...
فكَيفَ تَغيبُ، إِذًا،
وحُضُورُكَ يَكْسِرُ حَدَّ الفَناءْ؟

***

كانَ يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيقَ
ونُبصِرَ وَجْهَكَ بَيْنَ الوُجُوهِ يُحَدِّثُنا

أَوْ يُلامِسَ مَسْمَعَنا صَوْتُكَ المنتَشي
في غِناءِ القَصيدَهْ...
كانَ يُمكِنُ أَنْ تَعبُرَ اللَحظَةُ القاتِلَهْ
وتَبقى...
فَيَمْتَدَّ عُمرُكَ في سَنَواتٍ جَديدَهْ،
وتَضحَكَ مَعْنا...
وتَشْرَبَ كَأْسًا،
ويَبْسمَ ثَغرُكَ في الضِّحْكَةِ الماثِلَهْ.
كانَ يُمْكِنُ أَنْ يَستمِرَّ غِناؤُكَ
في غَمغَماتِ الزُّهورْ
ويَتْرُكَكَ الوقتُ أَكْثَرَ بينَ الحُضورْ...
ولَكِنْ...
لَوَ أَنَّكَ أَنْتَ بَقَيْتَ
لَما كانَ وجْهُ السَمَاءِ
تَزَيَّنَ بالشِّعْرِ

أوْ هَزَجَتْ في قُلُوبِ مَلائِكَةِ الفَوْقِ
آيُ القَصيدَةِ
في مَهرَجانِ النُّشُورْ...
وَلَمَا ازْدانَ مَرْجُ الكِيانِ بزَهْرٍ جَديدٍ
فآلامُنا فِيكَ صَارَتْ زُهُورًا جديدَهْ...
أَيا أَيُّها الغائِبُ المستقِرُّ بقلبي،
لَوَ ٱنَّكَ أَنْتَ بَقَيْتَ
لَما ٱكتَمَلَ الشِعْرُ فيكَ
لأَنَّ غِيابَكَ صارَ القصِيدَهْ!

٢٠١٠ /٣ /٣١

كِتابُ الوَقْتِ

- ١ -

نائِمٌ تَحْتَ جِلْدي
وَجِسْمِي هَباءْ...
يُطارِدُني الصَّمْتُ في دَهْشَتي
وَبُروجُ الكَلامِ نَوافيرُ ماءْ.
أَيُّها الوَقْتُ،
هَلْ تَنْزِلُ اليَوْمَ نحْوِي
وَتَجْلِسَ قُرْبِي تُحَدِّثُني؟
كَيْفَ أَنتَ عَلى مَلْعَبِ النَّجْمِ
أَوْ في سَدِيمِ الرَّحيلِ الَّذي
يَتَعَشَّقُ لَوْنَ البَهاءْ؟
كَيْفَ تَتْرُكُ خَطْواتِكَ الهادِئاتِ بِقَلْبي
وَأَنتَ شَرِيدٌ كَقافِلَةِ الرّيحِ؟

كُنْتَ تُظَلِّلُ وَجْهي بِجِلْدِكَ
وَهْوَ سَديمٌ
وَتَحْمِلُني مِنْ أَثيري
إِلى مِهْرَجانِ القَصيدةِ.
يا وَقْتُ،
لُمَّ خُطاكَ بِكَفّي
وَجَمِّعْ شُرودَكَ في عُمُري
هادِئًا كَخَريرِ المياهِ
وَمُسْتَوْثِقَ الخَطْوِ مِثْلَ عُيونِ القَضاءْ،
وَٱنْثُرِ الحَتْمَ في وَاقِعِي
ثُمَّ سَوِّ خُطاهُ بِهَسْهَسَةِ الحُلْمِ —
هَذَا دَلِيلِي
وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ لَوْنُ الحُروفِ
الَّتي تُشْبِهُ الماءَ،
يا وَقْتُ،

بَيْنِي وَبَيْنَ شُرودِكَ هَذا الفَضَاءْ
فَكُنِ الأَلَقَ المتَحَرِّكَ بَيْنَ رَنينِ الثَّوَاني
وَشُدَّ إِلَيْكَ غِطاءَ الحُروفِ
وَأَلْقِ عَلَى الشِّعْرِ هذا الغِطاءْ.

– ٢ –

حَائرٌ في كِياني
وَعَيناي صَارِيَةٌ وحُرُوفُ...
يَتَجَمَّعُ بَيْني وبَيْني المدَى
مِثْلَما يَتَجَمَّعُ مَاءٌ بِشِقَّي مَضيقٍ/
هُنا وَطَنٌ يَتَناقَضُ... حَتّى السَّكِينةِ...
في وَجهِهِ قَضَماتٌ
وفي قلْبِهِ صُفْرَةٌ وَخَريفُ.
وَهُنا غُرْبَةٌ

لَوْنُها كَانْسِلالِ الخَديعَةِ.
آهِ، أُغْلُقوا بابَ وَجهي عَلَيَّ،
وَنادُوا مَفاتِيحَكُمْ –
إِنَّني أَتْرُكُ اللَيْلَ يَسْتَعْرِضُ المسْأَلَهْ:
كُلَّمَا نَبَتَ الوَطَنُ المتَكَرّرُ
غَطَّتْهُ صَحْراؤُهُ القاحِلَهْ.
كُلَّمَا ٱنْتَظَرَ الشَّعْبُ شَعْبًا لِتَسْكُنَ أَحْلامُهُ
صَدَّعَتْهُ الظُروفُ.
أَيُّها الوَقْتُ،
كيفَ تَرُدُّ إِلى الحُلْمِ أَضْواءَهُ
وَالظَّلامُ يَطوفُ؟

– ٣ –

يَنْسُجُ الوَقْتُ أَكْفانَهُ في عُروقي

وَتأْفُلُ في جِلْدِيَ الكَلِماتُ
ٱلَّتي سَرَقَتْ نَوْمَها.
تَنْسُجُ الرّيحُ بَيْني وَبَيْنَ الضَّجَرْ
لَوْنَها المتَفَتِّحَ —
يَخْرُجُ مِنْ نَومِهِ اللَوْنُ
ثُمَّ يُطَرِّزُ بَيْني وَبَيْنَ البَشَرْ
شَجَرَ الإِخْتلافِ.
هُنا في مَرايا الذُّهولِ الَّتي عَبْرَ ذاتي
أَراني وَحيدًا...
وَلَكِنَّني في ٱخْتِلافي كَبيرٌ
وَأَوْسَعُ منْ كَلِماتِ الرَّنينِ
ٱلَّتيَ خرَجَتْ من فَمِ الوَقْتِ.
كُلُّ حُرُوفِ الوَرَى سَفَرٌ
وَحُرُوفي تَوالَدُ في ذاتِيَ المسْتَكينَةِ
حَتّى التَوَتُّرِ...

يا وَقْتُ،
بَيْني وَبَيْنَكَ أُنشودةُ الصَّمْتِ،
بَيْني وَبَيْنَكَ هَذَا المدَى مِنْ كِيانِي
فَرُدَّ عَنِ الصَمْتِ ما عَمَّرَتْهُ الأَحاجي،
ورُدَّ رَنينَ المعاني
إِلى العَجَبِ البِكْرِ،
وَلْتَكُنِ الأَبْجدِيَّةُ هَمْسًا جَديدًا
لِكُنْهِ الوُجودِ الجَديدِ
وَبابًا إِلى الأَزَلِيّ
ٱلَّذي يَتَكَوَّرُ في شَكْلِها.
كُلُّ شَيْءٍ يُحَرِّكُ نَفْسَهُ نَحْوَكَ،
يا وَقْتُ،
يَبْدأُ مِنْكَ وَيَخرجُ مِنْكَ،
وَكُلُّ المدى ٱخْتَصَرَتْهُ ثَوانيكَ
إِلّا مَرَايا القَصيدَةِ في وَهْجِها المتَأَلِّقِ

خانَتْكَ...

وَٱبْتَعَدَتْ عَنْ مَداها الثَّواني

وَأَعادَتْ صِياغَةَ ما حَفَّرَتْهُ يَداكَ بِذاتي

وصِرْتَ ترى، من خِلالِ نَسيجِيَ، رُوحِي

فتَعْصاكَ... تَعصاكَ... حَتَّى الغِيابِ...

وتُقْعِي وَحيدًا عَلَى بَابِها

لا تُؤَثِّرُ فيهَا بَراثِنُكَ الطّائِشاتُ

وَلا زَعْقُكَ المتَواتِرُ...

يا شِعْرُ،

هَذا فَضاؤُكَ

فَٱلْعَبْ بِهِ خَارِجَ الوَقْتِ،

وَٱرْسُمْ لِذاتِي مَدَاها

كَأَنَّ لِرُوحِي ٱمْتِدادتِها

في نَسيجِ الأَماني،

وَٱسْكُبِ الوَقْتَ ضَوْعَ أَريجِ

فَتَنْزَعَ عَنْهُ المهابَةَ،
وَٱحْفِرْ بهِ أَبْجَدِيَّتَكَ المسْتَكينَةَ
فَوْقَ حُروفِ كِتابِهِ
تَسْتَنْزِلِ الغَيْبَ في لَفْظَةٍ واحِدَةْ.

أَيُّها الأَبَدُ المتَواتِرُ في الشِّعْرِ
عَبِّدْ دُروبَ الغَرابَةِ
بِاللُغَةِ الشّارِدَةْ.

أيار ٢٠١٠

مَرْيَمِيَّتان

مريم

يا جسَدًا من نورْ
يَتَهادى فَوقَ حُقولِ بَخورْ،
يا جَسَدًا في كلِّ الأَجْسادِ
يُحَوِّلُها عِطْرًا وَعَبيرَ زُهورْ،
يا لَوْنَ الفرَحِ الآتي
مِنْ فِرْدَوسِ الصَّلَواتْ،
يا عِشْقَ الرّوحِ المتَجَلّي
في كلِّ الأَشْياءِ
وفي كلِّ الهَمَساتْ...

في جَنَّتِكِ المسْبوكَةِ من لونِ الطُهْرِ ورائحَةِ العِشْقِ المتَجَلّي أَتَجَمَّعُ في ذاتي/ أتَجَلّى، وأَطيرُ إِلَيكِ كما يَحْنو الماءُ على الضَّوءِ، أَنامُ بهذا النورِ المستَغْرِقِ، يا كُلَّ الأَسْرارِ اجتَمَعتْ في سِرٍّ، يا كُلَّ نِساءِ الأَرْضِ ٱلتَمَّتْ في خَاطِرَةِ امرَأةٍ، وانصَهَرَتْ حَقلًا أَزْرَقَ من ضوءٍ،

أوْ

من رائحةِ الضَّوْءِ...

بِجنَّتِكِ المسكوبَةِ داخِلَ جسمِ الفرَحِ العاري

يتَجَمَّعُ سِرُّ صفاءِ الأشْياءْ،

ويصيرُ رِداءْ

للدُّنْيا إِذْ تَتَجَلّى

أُغْنِيَّةَ حُبٍّ

تَنبُتُ في كُلِّ الأَمْداءْ...

في جَنَّتِكِ المسكوبَةِ داخِلَ جِسْمِ الفَرَحِ العاري
تلثُمُ جرحَ الدنيا
شَفَتا "عَذْراءْ".

١٩٩٤

كتاب مريم

نورٌ مِنَ الأَعلى يُهَوِّمُ أزرَقًا
ويَصبُّهُ أرَجٌ تُوَشّيهِ النجومُ.
نورٌ على نورٍ
وفجرٌ عابقٌ
تزهو بأزْرَقِهِ التُّخومُ،
والأرضُ تَلبَسُ في في الزمانِ المريَمِيّ
وُرودَها وأريجَها،
وَيطيرُ في هَمْسِ الصّلاةِ عَبيرُها
زَهْوًا تُعانقُهُ الغُيومُ.
فاضَ الصَّفاءُ على الثّرى
وتمدَّدَت هَمَساتُهُ في كلِّ مَعْلَمْ،
وانزاحَتِ الأضواءُ
عَن ألَقِ الصَّلاةِ وعطرِها

لِتَكونَ... مَريَمْ!

***

وَتؤَرّخُ الزَّمنَ الذي يَأْتي،
وتفتحُ للزّمانِ زمانَهُ
وبدايةَ التّاريخِ من تاريخِها المضْني.
بَتولٌ... إنْ مَشَتْ
مَشَتِ الحقولُ وراءَها،
وإذا رَنَتْ للنّورِ شَعَّ بها الضِّياءُ
وآنداحَ فَيضُ الطُّهْرِ من صَلَواتِها
فتلَمَّسَتْهُ الأرضُ
وارتعشَ الفضاءُ...
هذا هو الزَّمنُ الجديدُ:
يكونُ ما سَيكونُ —
عَهدٌ مُستَجدٌّ

بينَ كلِّ الناسِ والأَعلى
يُكرِّسُهُ الفِداءُ...
وتَهيمُ في الصَّحراءِ –
"هَذي نَخلةٌ... شُدّي إليكِ بجِذعِها!"
قال الملاكُ،
وشَقَّ أطباقَ السماءِ
حمامةٌ بيضاءُ.
فاضَ النُّورُ من أَعلى –
"إلهي، كيفَ يَسْكُنُني جَنينُ
وأنا بَتولٌ لَم تمَسَّ يدي يَدا بشَرٍ
ولا عبَرَتْ بأحلامي ظُنونُ؟"
"– هُزّي بجذْعِ النَّخلةِ!"
ٱهتَزَّتْ لها أمداءُ هذي الأرضِ
وابتدأ الزَمَنْ،
واختارَها الفادي لهُ أمًّا،

فلا دَنَسٌ إذَنْ!...

***

يا رَبُّ، أحمِلُ في ضميري
سِرَّ الألوهةِ والنُبُوّةِ –
لَيتَ إبني لم يكُنْ رَبًّا إلهًا!
ليتَني ما كُنتُ عاشِقةَ الأُلوهةِ
كي أقولَ لهُ: "صباحَ الخيرِ يا أُبني!"
ليتَني أَغْفو وأَحْضنُهُ
وأَرقدُ في سريري...
لكنّني كَرَّسْتُ نفسي للفِداءِ
وكَرَّسَتْني نِعمةُ الملَكوتِ
أُمًّا للإلَهِ وَزوجةً
ونَوافذًا لِلعَهْدِ يَفتَحُهُ المسيحُ
لِتولدَ الدنيا بفَرحَتِها مِنَ الألَمِ المريرِ.

عانَيْتُ من أجلِ الفِداءِ
مرارةَ الأمِّ التي ثَكِلَتْ،
ومُتُّ معَ ٱبْنِيَ المصلوبِ
أَلْفًا في ثواني...
ودَخلْتُ عَتمَ القَبرِ في كَفَنٍ،
وسمَّرَني الزَّمانُ على الزَّمانِ،
ونَهَضتُ مِنْ موتي
متى نَهَض المسيحُ
وعدتُ وَعدًا مِثْلَهُ في العَهْدِ
يَغسِلُنا جديدًا —
قَطرَةُ العَهْدِ الجديدْ.

سأظَلُّ أحضنُ هذه الدنيا كأُمٍّ:
كُلَّما دَمَعَتْ عيونُ البائيسنَ دَمَعْتُ فيها.

كلّما هَمَسَتْ صلاةٌ للسماءِ ظَهرْتُ فيها.
كلّما لَثَمَتْ شِفاهُ الحُبِّ خَدًّا كُنتُ فيها...
فأنا الشَّهادةُ والشهيدْ،
أَجثو على قَدَمِ المسيحِ
وأحضُنُ النورَ المخلِّصَ إنْ تكلَّمْ،
وأرافِقُ النّاسَ الذينَ يُزَنّرونَ
بِشعلةِ الإيمانِ
مجدَ الرَّبِّ في الحُبِّ المعَظَّمْ،
وَتظلُّ عيني تَرْقُبُ الدُّنيا لتَحْرُسَها،
وتترُكُ في قلوبِ البائسينَ على المدى
عينًا لمريَمْ...

٢٧/ ٥/ ٢٠٠٨

فهرس المحتويات

القصيدة ١ ص ١

القصيدة ٢ ص ١١

صديق ص ٢٣

مرآة لجليل حيدر ص ٣٥

الغائب (أو قصيدة نورمان دياب) ص ٣٧

باب الحلم ص ٤٥

زهر الغائب (أو قصيدة جورج غانم) ص ٥٥

كتاب الوقَت ص ٦٣

مريميّتان

مريم ص ٧٣

كتاب مريم ص ٧٧

هوَ الوَقْتُ، والوَقْتُ لَيْسَ يُسَمّى...
ولكنّهُ يتسلَّلُ فِينَا كَلِصٍّ غَريبْ
ويَسْرقُنا في سُكوتٍ... بَطيئًا... بَطيئًا...
كأنَّ أصابعَهُ الماهِراتِ نَسيمُ عَليلْ
تُخلِّفُ بَعدَ الرحيلِ
فراغًا عَجيبْ.
ونحنُ لُصُوصُ الحياةِ
نُحَاولُ أنْ نَسْرُقَ العُمُرَ المسْتَحيلا
ونُمسِكَ بالواقعِ العَبَثِيّ
خَيالًا هَزِيلا